سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (50)

ديوان عبد الله الفاسي

عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي الفهري

(ت 1349 هـ/ 1930 م)

(الجزء الأول)

بسم الله الرحمان الرحيم

قال رحمه الله يهنئ أهل فاس بقدوم الشيخ ماء العينين في بعض أسفاره للسلطان مولاي عبد العزيز ويمدح تأليفه "دليل الرفاق":

أيا فاس تيهي مفخرا بالوفادة لقد نلت مجدا في قباب السعادة

وجاءت لك البشرى بمقدم من سما وحاز مقاما دونه كل رتبة

امام ولي ماجد ذو مواهب عظام وأخلاق حسان حميدة

هو الشيخ ماء العينين أهل بهائها حباه إله الخلق كل مزية

شفاء عيون الناظرين وسرهم ومن ربه أولاه عظم مهابة

فماء عيون الناظرين وسرهم ومن ربه أولاه عظم مهابة

فماء عيون ان صفا فسره وماء عيون ان جرى فبطاعة

علوم له جاءت كمثل جواهر على نمط في الحسن قاض بعزة

تآليفه تنبئك يا طالب العلى عليك بها ان رمت نيل السيادة

ولو كان إلا مابه جاد منه دليل بها ان رمت نيل السيادة

ولو كان إلا مابه جاد منة "دليل رفاق" كان غاية حجة

له الحظوة العظمى لدى الملك الذي له يخدم التيسير في كل حاجة

أبا فارس عبد العزيز ومن غدا يصول على الاعدا بسيف العناية

بشأن ولي الله حقا قد اعتنى فأحرز ما قد رامه من كرامة

وقد جئته والسعد خادم حزبه ويمن له يسعى سريع الإجابة

فيممته أهلا وسهلا ومرحبا بطلعة شيخ حاز أعلى وراثة

طلعته نصر وفتح مؤيد سيدنا المنصور ركن الامارة

وعذرا فليس النظم يحوي خصاله وهل شاعر وفي بفضل الأئمة

حباني به المولى جزل مواهب وأعظمها ان جاد لي بالطريقة

على حبه الليث مادمت باقيا وكيف، ومن آل النبي وعترة

عليه صلاة الله ثم سلامه وآل وأصحاب غيوث أجلة

مؤبدة ما نمق العين ماؤها   وما خضر ربع من فيوض سحابة

وما قال من أضناه شوقا إليكم أيا فاس تيهي مفخرا بالوفادة

قال رحمه الله:

أرى الشباب أخي ضيعت بهجته وفاجأ الشيب بالتأنيب وابتدرا

سكر الشباب، وحب اللهو مفسده بالعلم قاوم الحذاق فانكسرا

ما لوجد المحب من إطفاء غير قرب لساكن البطحاء

ذلك القصد والمرام لصب ظل بالشوق في جوى وعناء

لم يشبب بربرب أو بسعدى لا ولا زينب ولا أسماء

حسبه مدح من به أصبح الكو ن مليا ببهجة وسناء

أشرف الخلق نخبة العرب بحر ال فضل والطول والندا والوفاء

سيد الرسل مظهر السر ركن ال مجد والعز والعلا والصفاء

سيد أظهر الاله سناه وأبو الإنس بين طين وماء

رحمة الكل من فصيح وبكم نعمة الله أقرب الشفعاء

يالها ليلة تحلت بفخر وازدهاء بأكرم الكرماء

أيدتها خوارق باهرات ساطعات لكل واع ورائي

افعمت مكة بيمن وبشر إذ تدلت له نجوم السماء

صدت الجن عن مقر استماع حين فاهت بأصدق الأنباء

كم أيادٍ بيض الوجوه حسان من يديه ذرت على الفقراء

خير كف تضلع الجيش منها ماكفى عن سحابة وكفاء

خير كف مرت بغصن محيل فاكتسى حسن منظر ونماء

معجزات كالزهر والبحر مدا مالها من مدى ولا احصاء

يجتلي الآخرون منها رياضا شيدتها جهابذ القدماء

كيف يستطيع قاصر خوض بحر أقصرت عنه جلة البلغاء

ما لعبد الإله إلا خضوع والتجاء لافضل الانبياء

{سائلا} من علاه عزا وفتحا وانتصارا مؤيدا بالبقاء

{للمليك المطاع} من خصه الل ه بنور الحيا وفرط الذكاء

{يوسف العصر} طالع السعد بدر ال ملك والرشد غنية الضعفاء

نافذ العزم في صلاح الأهالي ثاقب الفهم مرفد العلماء

أنقذ القطر من خمول فاضحت حاله في استكانة واستواء

عضد النجح منه سعيا حميدا خول الامس سائر الانحاء

جلل الغرب نعمة وانتظاما فاغتدى في تقدم وارتقاء

شاد للعلم واللغات مكانا مستنيرا بانجم النبغاء

أصبحت فاس في اهتبال وزهو إذ حللتم بها حلول اعتلاء

سحبت ذيل عزة وافتخار إذ تباهت باعظم العظماء

كم سرور وكم حبور تأتى بازديار لكم وكم من حباء

وبنور الجبين منكم تجلت حضرة الملك في برور الهناء

إنما أنت روحها وبهاها لم تزل للوفود رحب الفناء

{يا إماما} بعصره قد رأينا ما انتقته اكابر الحكماء

من صنيع يروق حسنا ولطفا في عيون الخصوص والدهماء

{يا أبا الحسن والبها والمعالي} دم هنيئا بالسادة الابناء

هم شموس الورى أحيطت بحفظ واعتزاز من مبدع الاشياء

{وبذا العيد} من به كل عبد رافع الصوت بالثنا والدعاء

كل يوم من ملككم عيد سعد وارتياح ونزهة واحتفاء

وابق في رفعة وعز ونصر نافذ الامر سامي الآراء

{بالنبي} الكريم من فاز بالسؤ ل وبالقرب ليلة الاسراء

وعليه من الاله صلاة تملأ الكون من أريج الكباء

وعلى آله وصحب كرام ما أضاءت كواكب الجوزاء

وقال

طلائع اليمن في ورد وفي صدر تختال في برد وافت على قدر

مملوة بهجة تعنوا لمشهدها كل العوالم من بدو ومن حضر

نالت شموس الضحى من نورها قسما حتى غدت تزدري بهالة القمر

سعد السعود رفيق حيثما قصدت بالعز والنصر والاقبال والظفر

طلائع أسفرت عن فرقدي ملك وفلذتي كبد المنصور في زمر

أبي العلا سيدي ادريس مع حسن أبي علي فروع دوحة الدرر

فيا رعا الله ملكا طاب اذ غمرت كلا مآثره بأنفس الغبر

وكان من صنعه الميمون ماسمحت به مكارمه العليا على الاثر

ويارعا الله يوما حاز منقبة ولم يزل في جبين الدهر كالغرر

ما كنت رابع أعياد بشاهده حتى شهدت له في فسحة العمر

ياحبذا موسم كانت محاسنه يروي أحاديثها مستوثق الخبر

حدث بما شئت ان الحصر ممتنع وأوسع القول في التكليف للعشر

شاهدته وبسيط الكون ممتلئ من كل شكل بديع رائق النظر

والشمس ضاحكة والارض زاهرة وجدول النهر في التخطيط للسور

كم من جنود وكم خيل مسومة وكم رجال الوغى بالبيض والسمر

تاهت على غيرها فاس بذا طربا كل الحسود غدا في وصمة الغبر

أبا المحاسن مولانا وسيدنا لك الفخار بما أوليت من ظفر

نلنا المنا اذ رأينا الشبل ممتطيا متن المعالي وسيف الملك ذو خفر

أدى التحية كل الوفد منشرحا ولاحظا لشفاه الامر بالبصر

لما المقيم أتى اليه مقتبلا بالبشر قابله مع جودة النظر

سر المقيم بما من الشعور له وقام بالواجب المحمود في سير

ياسيدي دم قرير العين في رغد وانعم عظمت بالانجم الزهر

مشمول حفظ ومسرور الجناب بهم مبلغا كل ما ترجوا من الوطر

العز خادمكم واليمن طالعكم والدهر طوع لكم ياخير منتصر

ياسيدا عظمت في الناس أنعمه وفاق عصر له لسالف العصر

لازال فضلك منهلا ومنسكبا على الايالة مثل وابل المطر

ففضل آل رسول الله منتشر عم الضياء به نخبة البشر

هذي المكارم لاقعبان من لبن هذي المزايا مدا الاحقاب والدهر

وعن قريب نرى يوما لطلعتكم ان الفؤاد من الاشواق في سهر

واقبل تهاني بسيط القول معذرة من قاصر جامد الادراك والفكر

زففتها والرضى منكم لها شرف تهدي التحايا بلآي النصر والسرور

وان يكن غيرها بالسبق مفتخرا فالسبق من خدم الحسناء لم يضر

من فيضكم حسنها يسدي لها دررا تنيلها غررا تزري بمبتدر

أرخ بست وضعف العشر بعد بدت طلائع اليمن في ورد وفي صدر

وقال

أضاءت على الاكوان شمس البشائر وأبدت لعين الدين أبهى الاشائر

بشائر اسعاد باكرم مولد يتوق اليه كل باد وحاضر

فأعظم به من مولد جل قدره وحيت به الاملاك خير الحرائر

فجاءت بخير الرسل مسك ختامهم مبصر نهج الرشد أهل البصائر

أجل بني الانسان غوثهم اذا تحير كل يوم كشف السرائر

نبي الهدى بحر الندى أشرف الورى سراج العلا غيث لصاد وحائر

مآثره حوض لكل محدث وسنته روض لقلب وناظر

وحضرته مأوى لكل مراقب وسيرته منحى لناه وآمر

ومن لي بان أحصي جميع صفاته ولو عبرت بحر القريض خواطر

كفاني ان لم أقض حقا توسلي به لاله مجزل الفضل قادر

بان يبقي النصر المؤزر خادما لمولاي شمس الملك بحر المفاخر

سليل الملوك الصيد مولاي يوسف أجل حماس للعلا ومكابر

امام همام منصف متفضل له راحة تزري بسحب مواطر

أعاد لهذا الملك عصر شبابه فعاد به الاسلام أقوى مفاخر

وأضحى به وجه التمدن رائقا وعمر بالاصلاح كل الدوائر

وأصبح ربع العلم أرحب زاهرا ودوح الهنا والاس غض الازاهر

بحلم وعلم ساد كل مملك وصيت بأكناف البسيطة سائر

فللدين والدنيا جنابه حافظ وللعدل والانصاف أشرف ناصر

فلله ما أبدته همته التي تسامت على كل النجوم النوائر

لسادتنا أجداده ولوالد رفيع منار الفخر جم المآثر

فقدس أرواحا لهم من أحلهم بجنته الفيحاء أعلى المنابر

أمولاي هذا العيد عاد كما تشا ببشر واقبال وسعد مظاهر

لك الكل يامولاي يهدي به الهنا وأثنية تنموا على كل عاطر

ولازلت ياسبط النبي معززا بنصر ويمن باهر الصنع ظاهر

بهيج بابناء كرام تبوءو أعز مكان بالمكارم عامر

خصوصا ولي العهد خير خليفة بنظرتك العلياء أسعد ظافر

ولازلت بدرا في سماء سعادة تتوق الى علياك شمس البشائر

وقال

وافت فاهدت أريج الورد والزهر وأقبلت بمزيد البشر والبشر

هيفا تجر ذيولا ليس يشبهها كل الذي صنعت صنعاء من حبر

حازت جمالا ففاقت كل غاية لأنها طوقت بالانجم الزهر

هانيك سيدة الازمان عالية الـ مقدار رائقة الايراد والصدر

هاتيك ليلة يمن شرفت وسمت بمولد المصطفى المختار من مضر

{محمد} سيد الاكوان أجمعها أجل داع أتى بباهر السور

غيث الوجود عظيم الجود والفضل من أبداه مبدؤه في أحسن الصور

مولى له المعجزات البيض والمنن الـ خضر التي ظهرت لكل معتبر

من رام حدا لها رام الوصول الى عد الذي ببحار الارض من درر

يكفي المصدق أن يعنوا لحرمته وأن يمد اليه كف مفتقر

ويسئل الله توفيقا ومغفرة بجاه المرتقي عن دارة القمر

ويستزيد لمولانا وسيدنا مواهب النصر والتمكين والظفر

تاج الخلافة مرعي المكانة من صون اللواء جليل الخبر والخبر

مولاي يوسف أعلا الاعظمين علا أعز معتصم بالله منتصر

للعدل منتسب للجور مستأصل للخير منتدب بالله مقتدر

للعلم منتصب بالحلم متصف للحق منتصف بالفضل مشتهر

حسام دولته بجيل صولته مقر هيبته بالبدو والحضر

سلطاننا المجتبى إمامنا المرتضى عمادنا المحتمى به من الغير

مولى أقامت بهذا القطر همته مصالحا لم تكن تجري على فكر

وجددت لفنون العلم بهجتها فاصبحت مثل روض ناظر خضر

سليل من شيدوا للملك منزلة راقت محاسنها لكل ذي نظر

يحيي مآثرهم يجري عوائدهم بمولد يا له من مولد عطر

ويالما يبذل المولى الامام به من أنعم هي ملء السمع والبصر

وماعسى تبلغ الاقوال في ملك بمثل سيرته الامثال لم تسر

فليهن سيدنا عيد اعيدكما يحبه ويحب كل مؤتمر

لازلت يانخبة الاملاك ذا شرف بالعز مشتمل والنصر متزر

ودام سيدنا ادريس شبلك من وليته العهد في حفظ وفي وزر

وكل اخوته الانجاب من هم في وجه العلا والسنا والمجد كالغرر

بجاه جدك خير الخلق صلى علي ه الله ما خطرت نواسم السحر

وآله وجميع الصحب ما تليت وافت فأهدت أريج الورد والزهر

وقال

هذي التهاني بها الارجاء تنسم والكون مبتهج والعصر مبتسم

وهذه غرة الاقبال مشرقة تضيء من نورها الاغوار والقمم

وهذي خير الليالي أقبلت فسرت بها البشائر والافراح والنعم

أكرم بها ليلة تمت محاسنها بمن به أنبياء الله قد ختموا

غوث الوجود شفيع الخلق من كرمت منه المناسب والافعال والشيم

من في المعاد له السؤل المبلغ وال قدر الرفيع الذي تعنوا له الامم

مولى البرية من جن ومن بشر فالكل في ظله الممدود محترم

بحر النوال ملاذ العارفين ومن لذكر همته تستقصر الهمم

ذو المعجزات التي تهدي قواطعها الى الرضى فيزول الشك والوهم

عزت عن العد حتى لم يكن أحد لبحرها أبدا يدنوا ويقتحم

يكفي البصائر منها نسبة حفظت فاصبحت وهي في أنف العلا شمم

بعترة كنجوم الأفق محرقة ببدر حسن لديه تحفظ الذمم

مولاي يوسف ذو الخلق الذي عبقت أرواحه وهمت من كفه الديم

سبط الملوك أمير المومنين ومن بيمنه أمن الاتباع والحرم

مولى له الحزم والرأي الرشيد الذي لم يبد مثله مامون ومعتصم

مؤيد الحق بالسعي الحميد وبال عزم المبيد لمن بالجهل قد وسموا

مولى بحفظ شئون المجد مضطلع وفي اقتناء المعالي مفرد علم

ان العناية لاتنفك عاكفة ببابه فبها يقضي ويحتكم

لسنا نؤدي له شكرا على منن بيض ولكن دعاء الخير نلتزم

فليهن سيدنا العيد الذي ابتهجت فيه بنعمته الجمهور والخدم

وليهنه الفرح المحفوف بالعز وال يمن الذي به غيث الفضل ينسجم

بسعد طلعته الايام أجمعها مواسم عقدها بالبشر منتظم

دامت سعودك يامولاي ضامنة لك الهنا وبك الاصلاح ملتئم

فالله يبقيك يامولاي طود علا بحص عزتك القعساء نحترم

بجاه جدك خير الخلق سيدنا {محمد} من به أهل الولا رحموا

عليه أزكى صلاة الله ما تليت هذي التهاني بها الارجاء تتنسم

وقال

الله أكبر تقديسا وتنزيها هذي سعاد تجلت في مجاليها

وذي رياح المنا هبت مبشرة بطالع لربيع الخير تنويها

وآية الفتح في الاقبال محكمة دلت على حسن عقباها مباديها

فامل المديح وشنف أذن سامعه بأعذب القول تمثيلا وتشبيها

واقصد به خير مبعوث لأمته من حاز من رتب العليا أعاليها

أصل الوجود وعين الكون مظهره وخير هاد لأهل الارض مهديها

بدت لمولده آي محققة بشائر كانت الاحبار ترويها

وأصبح الكون مسرورا بطلعته والحق أظهر انوارا يواليها

وللسماء ابتهاج في عوالمها وللأراضي احتفال في أقاصيها

حدث عن البحر في آي ومعجزة واذكر من الكل نزرا من مباديها

صلى عليه إله العرش مرسله وعن صحابته طرا يواليها

ثم السلام على خير الملوك ومن جاءت خلافته تزهوا به تيها

فخر السلاطين قد جلت مآثره من ذا يحقق تقديرا لها فيها

هي الغيوث اذا أمت سحائبها من ذا الذي رام احصاء فيحصيها

به الإمارة قد تمايست طربا سلسالها بالتهاني في مجاريها

يهنيك ياخير منصور ومنتصر ذا العيد والليلة الغراء تحييها

لازلت تعمرها بالمدح مقتديا بسالف صالح بالخير تقريها

مولاي يوسف حزت الفضل أجمعه لك النجوم أجابت في معاليها

دامت سعودك في الاعصار مقبلة من حسن طالعها بيض لياليها

بجاه جدكم المختار من مضر من للنفوس غدا بالرشد هاديها

صلى عليه إله العرش مانفحت ريح وما انهل مزن من غواديها

ثم الرضى عن كرام الآل ماظفرت يد المديح بنجح في تمنيها

وقال

إليك أيا فخر الملوك زففتها تهاني وأرجو من علاك قبولها

تهاني بما أصدرتم من خلافة لشبل له العلياء ألقت زمامها

ولي لعهد ماجد قد زهت به معالم حوز حيث كان هلالها

خلافته عنكم بعز وصولة هنيئا لها ان التهاني بها لها

رقصت لذا من شدة الشوق والمنا وقد كان ظني أن أكون خديمها

ولكن لسوء الحظ كان تأخري فما علتي قدما خدمت رحابها

عرفتم أمير المومنين محبتي بإرث وقد كان العيان دليلها

وإذ كان اني بالدعا متواليا خديم لتبقى سالما وعمادها

ودمتم ودام الشبل ادريس من له بهمتكم تعطى المزايا قيادها

قريرا لعين بالجميع كرامة وتخدمك الايام تبغي مرامها

وتاريخ ذا يمن يرى بخلافة   وقاف بحرف العطف صان جمالها

وقال

بشرى بها كسي البسيط جمالا وغدت بها أضواؤه تتلألا

وردت كما عهد المحب فاوردت ه من المسرة والحبور زلالا

بشرى بعيد عاد يقتاد الهنا واليمن والافراح والاقبالا

عيد لمولد رحمة الاكوان من أعطاه ذو الفضل العظيم كمالا

وأمده بجلالة ومهابة تردي الجيوش وتدهش الريبالا

واقامه بمنصة العز التي قد ألحقت بحسوده اذلالا

بزغت به شمس الهدى في مشرق وبمغرب فمحت هوى وضلالا

من مدحه عجز الورى عن مدحه فالكل يظهر عن مداه كلالا

مولى له الحسن الذي عن كنهه تجد النواظر والعقول عقالا

انى تشبه بالبحار يمينه وهي التي علت البحار نوالا

اني يحيط المادحون بوصفه لالا وعزة من أعزه لالا

أسرى الوجود مفاخرا ومآثرا أسمى الانام شمائلا وخصالا

فبحقه أرجو مزيد النصر للمولى الذي فاق الهلال جمالا

مولاي يوسف طالع السعد الذي شاد الصلاح وسدد الاعمالا

وحبا العدالة حقها فتحكمت في كل من منع الحقوق منالا

وأعاد للعلم الشريف نظامه وأماط عن قرائه الاهمالا

بحر المكارم والمواهب من له همم تجر على السها اذيالا

يجري عوائد جلة في ليلة نالت بمولد جده اجلالا

يبدي بها من بشره وسخائه مايوسع المقوال فيه مجالا

فليهن جانبه الحلول بحضرة قد أحسنت لركابه استقبالا

وليهنه عيد يعود كما يشا بمسرة وبشائر تتوالا

وليبق سيدنا الخليفة شبله إدريس في حفظ الاله تعالى

وكذاك اخوته الاعزة من هم أعلا الاجلة أنفسا وخلالا

بوسيلة الثقلين أشرف سيد شد الرجال الى حماه رحالا

صلى عليه الله ما طاف الرضا بمقام مدحه يمنة وشمالا

والآل والصحب الاماجد ماأتت بشرى بها كسي البسيط جمالا

الحمد لله الذي أكرم آل البيت الشريف بالنسب الطيب الطاهر وحباهم بالحسب الواضح الظاهر نشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له شهادة لانحيد عنها بحول الله ولا نحول ونشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الطيب الطاهر الزكي الفروع والاصول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وكل من انتسب إليه وبعد فقد وقف كاتبه سدده الله على هذا التأليف المنسوب لأخينا في الله ومحبنا من أجله علامة عصره ووحيد دهره الشريف العمدة سيدي عبد الحي الكتاني منحنا الله وإياه دار التهاني فوجدته جم الفوائد غزير الخرائد والفرائد زيادة على موضوعه الأنمى الذي هو نسبهم الاسمى ولاجل تزاحم الفكر والبال بكثرة الاعمال والاشغال اقتصرت على هذه العبارات وان كانت لاتوفي بما له من عظيم المقامات وقلت مشفعا لها ان يستر بحول الله نقصها ويتبرج في سماء الاغضاء والسماعة ركنها

آل بني الزهرا عظيم المراتب وقد رسما فوق الشها بمراتب

لقد شرف الرحمن قدرهم وقد حباهم وأولاهم لاتنسى المناقب

بحبهم قد ساد كل منافس ومنهلهم عذب لاصدق راغب

وكيف وهم فرع النبي محمد وأبناؤه من خصصوا بمناصب

حلفت يمينا ان مدح سواهم لعالة مدح ينتمي للأقارب

ولو انني اطنبت مدحا فما أرى عسيرا ولا أدنى لغوث جانب

وان مناي ان أكون بزمرة واحشر في كهف شديد العصائب

فادعى محبا والمحب جزاؤه عظيم نوال واقتطاف رغائب

لذلك صرفت الفكر نحو معظم وفرع زكي قد أتى بعجائب

وأديت فرض الحب من غير عاذل بوشي قريض قد علا بتناسب

حبيت بعبد الحي كل فضيلة له بسليم الذوق بهجة صائب

وبحر علوم عم في الناس نفعه وطار مطار أماله من مقارب

وكم من دليل قد أتانا مؤيدا تحلى به جيد الحسان الكواعب

كذا الذي قد صاغه يراعه وفي نسب سامي بخير الحبائب

وضم له كم من قضايا عجيبة وكم من مزايا في شهي أساليب

دعوت إله العرش حفظ جنابهم فهم زينة في الدهر وسط المواكب

وارجوا من المولى شفاعة جدهم وموتا على حب ونيل مطالب

على المصطفى أزكى الصلاة وآله وأصحابه من هم ليوث الكتائب

نروم وما جاد الزمان بفاضل وما تليت في الناس آي الاقارب

وما منشد مدحا آل محمد آل بني الزهرا عظيم المراتب

قاله وخطه بقلمه راجيا لعفو الله وكرمه وشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد السلام الفاسي لطف الله في حجة الحرام عام 1330 انتهى.

أنظر مآثر من دانت له الأمم هي المفاخر لا ماشاده هرم

ليس المعالي سوى ما شاده ملك بدر الملوك ومن تسموا به الهمم

عبد الحفيظ به الايام فاخرة وكل من قد مضى من قبله وهم

أما ترى المسجد السامي دعائمه على التقى أسست ما خطها قلم

فقصره بأبي الجنود زاد علا وكان مسجده الباهي له علم

العز طالعه واليمن خادمه والسعد ساعده وكفه كرم

يا سيدا عظمت في الناس أنعمه لك السلامة طول الدهر والنعم

وأرخته أمير العز أسسه والنون حصن وسبع الاي مختتم

هاذي المناطد فوق الجو تنشدنا هذا القطار يجد الأرض ممتطيا

هاذي البواخر في عمق البحار وفي هذا التمدن هذا الفضل

فاعص بهاذي الماثر والآثار في الدول متن البسيطة في سهل وفي جبل

أعلاه تفعل فعل الفارس البطل ليس التمدن بالألحان والغزل

ما نزهة الطرف بين الورد والآس ولا اختيال عروس بين أعراس

ولا مثالث أوتار مرنحة ولا مدير مئوس بالبها كاسي

أشهى لقلب أديب من مسامرة تدعوا الى طيب أفكار وأنفاس

تذكي العقول بما تحاوه من نخب غر ومن سير لجة الناس

ولا كمثل حديث جل موقعه عن بلدة اصبحت للحسن كالراس

أرض تقول نواديها لناظرها ما في جلوسك في حماي من باس

أنا الخريدة في الأقطار واحدة أشفي ببشري من قبض ووسواس

باريز حاوية التبريز رائقة الت طريز جامعة لكل إيناس

باريس منتزه الدنيا وبهجتها ومطمح لذوي حذق وإحساس

باريس عاصمة للعدل عاصمة للجسور قاصمة بالجد والباس

منها الحضارة قد ألقت أشعتها على البسيط فحاكت ضوء نبراس

بأي باب وفصل من محاسنها أتي المحدث لم يقنع بقرطاس

أعن شوارعها اللائي جرين على بديع شكل وترصيف ومقياس

أو عن قصور نجوم الأفق تحسدها في حسن تحلية ونور مقياس

أو عن رياض يحير الفكر منظرها بما حوت من نقوش صنع أكياس

أو عن محاكم غصت بالرجال فلا يجرون فلا الاعلى حق وقسطاس

أو عن متاحف آثار منوعة لم تبق في الفخر من غمط والباس

أو عن مدارسها اللائي احتوين على المئين من شيخ تهذيب ومدارس

وغير ذلك من أشياء باهظة يطول تعدادها مابين جلاس

حق الفخار بها من دولة رفعت رسم المعرف بعد طول أرماس

ولم تزل لصنوف الفضل ناشرة مشمولة بالغنا والفخر الراس

الحمد لله الذي منح من شاء قربه واجتباه، وفتح له أبواب التيسير بفضله وحباه، وأكرم بولايته أهل محبته ووداده، ونور بصائرهم باشراق هدايته ورشاده، فهو الله الذي لا إله إلا هو مؤتي الفضل من يشاء، ومجري الأقلام بباهر الترصيعات وحميد الانشاء، أرسل رسوله محمدا بدرا لامعا، على جبهة الدهور والاعصار لائحا وساطعا، وجعل المستمدين من كمالاته على درجات ومراتب ومقامات، فالكل منه وإليه بدءا وتماما، سابقة أزلية إكراما وإعظاما:

لا تقس بالنبي في الفضل خلقا فهو البحر والأنام أضاء

صلى الله وسلم عليه وعلى من انتمى بسبب أو نسب إليه. وبعد فقد وقف العبد الفقير على هذا المؤلف الذي ألفه جهبذ عصره. ووحيد دهره. لسان البراعة. والمستعمل في تحصيل العلوم بنانه ويراعه. الفقيه العالم الأديب السميدع الكاتب الأريب أبو الفضل عباس بن ابراهيم المراكشي. في ذكر مناقب السادات الاجلة. السبعة البدور الأهلة. من استنارت بقبابهم الحضرة المراكشية. وازدهت على غيرها بمحاسنهم العيدة الفاشية نفعنا الله بهم، وأمدنا من فيوض مددهم، فوجده قد احتوى على درر ويواقيت، قل من يتفطن لها في سائر

المواقيت، كفيلا بالمراد في موضوعه الشهير موفيا به بحسن عبارة وتقرير, وضم إليه من الفوائد العلمية، مافيه للطالب غاية القصد والأمنية, فجزى الله مؤلفه خيرا وأولاه مثوبة وأجرا. وكثر أمثاله . وأناله آماله. وقد قلت مشفعا، وبجاه من ألف فيه متشفعا:

لأفضل من نقر الغواني الكواعب وأشهى من الروض العظيم السواكب

وأحلى من الوصل اللذيذ صبابة ومن رشف ذات الخال بين الصواحب

أعز إذا من ذاك كله نفحة تهب بتعداد الحلي والمناقب

وسرد حديث الصالحين وذكرهم ففي ذكرهم نيل المنى والمطالب

هنيئا لمن أضحى رهين زمانه بأحوالهم أعظم بها من مراتب

كمثل أبي الفضل الذي حاز شهرة بنشر علوم بثها للحبائب

سمي بعباس فأحرز للعلى ونال ذكاء فهمه فهم صائب

به جادت الأيام تحت إمارة لها يخدم التأييد من كل جانب

لسيدنا عبد الحفيظ مآثر فكم من مزايا أقبلت ومواهب

ليهنك هذا الشهم خدمة سادة حماة وأبطال بدور الغياهب

هم السبعة الأقطاب نور مراكش وبهجتها أهل العلا والمناصب

فشنفت أسماعا بذكر مآثر لهم تنتمي والله موتي الرغائب

بحسن مساق واقتباس دلائل وكم من علوم قد حوى ومذاهب

يتيمة هذا العصر تأليف فاضل فدونك فهو المراد لطالب

جزيت جزاء لا يقاوم عزة ودامت لك العلياء أعظم صاحب

بجاه رسول الله خيرة خلقه محمدنا المحمود بحر المواهب

عليه صلاة الله ثم سلامه وآل وأصحاب ليوث الكتائب

يدومان ما حبر تبدى مناره فغار له بدر وكل الكواكب

وما مسعف قد قال طالبا الرضى لأفضل من نقد الغواني الكواعب

وكتب مع استعجال، وزيادة شغل البال، الفقير الى رحمة مولاه، عبد الله الفاسي كان له مولاه وتولاه. وفي ثاني شعبان الأبرك عام ستة وعشرين وثلاثمئة وألف.

نسيمُ رُبا الإسعادِ دانت شمائلُهْ وروضُ الهنا باليُمْنِ جادتْ هواطِلُهْ

تضوّعتِ الآفاقُ طيبًا بزهره وباتت بناتُ الحُسْنِ فيه تُغازِلُهْ

تتيهُ على الأترابِ بيس غصونِهِ ويسحرُها تسريحُه وقَرافِلُهْ

أقمنا به حينًا من الدّهْرِ مُسْعِفًا مفجّرةً أنهاره وجداوله

فللّهِ رَوْضٌ كم نهارٍ وليلةٍ لهوتُ به قد ظَلّلتْني خمائله

بناعمةٍ مثلِ القضيبِ إذا انثنى وزاد لهيبًا في القلوبِ تمايله

سقتني رضابا هاج في الصدر لوعة بكف خضيب من لجين أنامله

فقل للذي قد لام في حبها الفتى فكم من مشوقٍ أهلكتْهُ عواذله!

فدعني وما أشكوه من ألم الجوى وخلِّ سبيلاً عنك ضلّت وسائله

وسِرْ بي إلى كهف الورى غيرَ آبهٍ وعرِّجْ بمغناه الذي عزّ نازله

مليكٌ لقد بَزّ القوافيَ مَجْدُهُ وقد تَعِبَتْ مَفْعولُه ومَفاعله

مليك اذا مالكه ولكفت لكفت فكف لها هطل الغمام ووابله

له في المعالي من ذراها معالـــمُ يلوح بها من مَطْلعِ المجـــد آفله

له النصر مصحوب له بالسعد خادم وآيات حفظ واعتزاز حمائله

أسيدي يا مولاي يوسف ذو العلا جنابكم رحب لقد حل نائله

مكارم من غصن المعالي قطفتها بيسر نوال أيمن الامر ساهله

وحسْبك أن الله ولاّك رتبة من المجد ولّى دونها من يحـــاوله

وأعطى اليك الملك طوعا قيادة فأدن وأبعد واقض ما أنت فاعله

أقمتم بحمد الله سُنّةَ جدّكـــــــم وحزتم فخارًا لا فخارَ يمـــــــاثله

بمولد خير العالمين محمّد لَعَمْرِي اغتنمتم والعيـــــانُ دلائله

أقمت لهذا الدين حفلاً منمّقًا بحسن الغِنا قد أحكمتْه عواملُهْ

وأسديت من نعماك فيه مواهبا فجل الذي أولاك ما أنت حامله

هنيئا مريئا مولد السيد الرضى من الله نورا للهداية جاعله

نبي به الاسلام أصبح ظاهرا وصدع دين الغي فانزاح باطله

زكي تقي ماجد خيرة الورى مهاب مجاب لاترد وسائله

وماهو الا البحر عم نواله جميعا ألا فليتق الله سائله

لمولده الاسمى تبدت عجائب تريك من الايات ما أنت سائله

وآيات مولانا الرسول كثيرة وأعظمها القرآن عذب مناهله

ولو أطنب المثني في مدح {محمد} دواما لما وفت بذاك أقاوله

وأنى لعبد أن يحيط بمدحه ورب العلى أثنى فمن ذا يشاكله

عليه صلاة الله ثم سلامه حليم رحيم لاتعد فضائله

وآل وأصحاب غيوث مواهب ليوث الوغى عند اللقاء سرابله

معطرة تغشاه مالاح كوكب طوالعه فتح ويمن منازله

وماتقى الانشاد نادى بصوته نسيم ربا الاسعاد دانت شمائله

قد هاج شوقي حداةُ العيس إذ ساروا كأنهم في صدور البيد أسرارُ

يُرجِّعون أحاديثَ الهوى طَرَبًا وقد بدت من خلال الحيّ أنوار

حي حبيبت نفس العلا وسرت نجم الهدى وازدهت نجد وأغوار

في ليلةٍ أصبحت كل الليالي لها تعنو وتفخر أعوامٌ وأعصار

تسمو بمولد خيرِ الرُّسْلِ سيدنا مَنْ هُوَ مِنْ صفوة الأخيار مختار

أتى المبشِّر مُبْيضّ الجبين به فاحمرّت الفُرْسُ لما اسودّت النار

وهُدّمت شُرُفات القصر مذ شُرُفَتْ بمجده المحْضِ أحلافٌ وجوّار

لولاه ما عرف الخلق الجميل ولا قد كان للدين اعزاز واكبار

كم معجزاتٍ له في الخلق ظاهرةٍ لها على نقط الأزمان أدوار

كالنجم في عدد والبحر في مدد فهل تحيط بها كتب وأخبار

لله دَرُّ أمير المؤمنين أبي يعقوب مَن ذكره في الناس مِعطار

شمس الزمان كريم النفس متئد حي الشعور لذكر الله مكثار

أقام لَلَيلة – الغرّا عوائدها فاسْتُكملت فيه آمالٌ وأوطار

ما شئتَ من نِعَمٍ عمّت ومن نغمٍ تديرها لمسام السمع أشعار

ومن شموعٍ حِسَانِ النقْشِ أدمُعُها على الكراسيّ درْهام ودينار

كان السنها الشماء شادية بما له في سجل المدح أسطار

ومن زرابيّ كالروضِ الأريضِ إذا تألّقتْ فيه أنوارٌ وأزهار

فيما مليكًا بأوج السعد رُتبتُهُ ومَن نداه على الأتباع مِدرار

ومن كسانا ثياب الفضل سابغة لها من الرعي والتمييز أزرار

فأصبحت سحنة الحساد حائلة لما اعترتهم أحقاد وإعصار

لأنت يوسُفُ في حُسْنٍ وفي شِيَمٍ تزهو بمملكك آفاقٌ وأمصار

شبت مصالحها من بعد ما اكتهلت فالآن صحت لها في الفخر آثار

هذي المعارف قد ضاءت أشعتها فما تشاكلها شمس وأقمار

وذي المدارس قد زانت مجالسها دراري بمناط النجم قد داروا

أضحت بهم روضة التعليم مورقة تزهوا بها من حيا التهذيب أثمار

وذي الاهالي على علياك مثنية كما تغنت على الادواح أطيار

مستشعري الامن في دين وفي نشب وفي نفوس لها للسلم إيثار

أسهرت في أمرهم طرفا وأوسعتهم عدلا فما مسهم جور وأضرار

مؤملين حصول النصر عن عجل على الاولى بجنود الجهل قد ثاروا

ولم يفوا بعهود العدل بل نقضوا فلا عداهم خذلان وادبار

فيبسم الوقت عن نجح يكون له عن التمدن والاصلاح اسفار

مولايَ يهْنيك عيدٌ فيه قد رُفِعتْ

عن السعادة والإقبال أستـــار دُمْتَ المهنّأَ بالأعياد تُلْبِسُهـــا

حِلا البها ولديك السّعدْ أنصــــار

وانعم ودم لنظام الملك تحفظه بهمة دونها الافهام تحتار

حتى يعم الهنا الارجاء قاطبة وتزدهي مثل ماتهوى وتختار

بجاه جدك خير الخلق سيدنا {محمد} من به قد شرف الغار

ومن شفاعته يرجوا الانام غدا فتنمحي عنهم بالعفو أوزار

صلى عليه اله العرش ما انهمرت على البسيطة خلجان وأنهار

وآله وجميع الصحب ما تليت قد هاج شوقي حداة العيس اذ ساروا

ألكونُ أصبحَ ناشراً لظلامِهِ والدهرُ آذنَ بانقضا وتمامِ

والعيشُ نغصٌ والنجومُ تناثرت نجماً فنجما من نُشوبِ زُؤامِ

والعينُ لازمَها السُّهادُ منَ الأسى والعقلُ مِن ولهٍ ضجيعُ سُقامِ

والعلمُ قد لبسَ الحدادَ إشارةً لإصابةٍ في الدينِ والإسلامِ

والبِشرُ ولَّى واستقرَّ بربعِهِ حُزنٌ وصدعٌ من جيوشِ حِمامِ

لازالَ ينتخبُ الجيادَ مُبادراً يَصبوا إلى الأشرافِ والأعلامِ

يختارُ كلَّ يتيمةٍ في عِقدِها ويُبزُّ كلَّ غضنفرٍ مِقدامِ

لا غروَ أن كانت جيوشُ هجومِهِ قد هاجمت شيخَ النُّهى بسِهامِ

قد هاجمت حصنَ الشريعةِ مَن به كانت تُقامُ نوازلُ الأحكامِ

قد هاجمت طوداً تكاملَ نعتُهُ علَمَ الهُداةِ وقُدوةَ الحُكَّامِ

صدرَ الصدورِ زعيمَ كلِّ كريمةٍ ورئيسَ علمٍ بالمفاخرِ سامِ

عجباً لمن كانَ الجميعُ ببابِهِ والموتُ ما هابَ العُلا بحُسامِ

أعني أبا العباسِ أحمدَ مَن بدا فجراً يزيلُ غياهبَ الأوهامِ

شيخَ الجماعةِ عمدةَ الإسلامِ مَن أضحى له فضلٌ على الأقوامِ

هو عُدَّة للسالكين وحُجَّةٌ هو مَرهمٌ يَشفي من الآلامِ

حبرٌ أزاحَ بعلمه وبفهمه عن مشكلٍ تُلفيه كلَّ لِثامِ

بحرٌ خِضَمٌّ بالمعارفِ والنُّهى تَروي جداولُه لكلِّ أُوامِ

نظمَ الجُمانَ على صدورِ صحائفٍ أسلاكُه تُنسيكَ حسنَ قَوامِ

رَتقَ المفتَّقَ من ثيابٍ مَفاخرٍ بتأنُّقٍ قد خطَّها الأنامِ

ورِثَ المناقبَ كابراً عن كابرٍ والهمَّةَ العلياءَ فوقَ عِصامِ

ما شئتَ سُؤلاً عنه فهو أميرُه وجُزيلُه وعُزيقُه بدوامِ

لو جئتَه وسألتَه لوجدتَه يُسدي الجواهرَ ساعةَ الإحجامِ

قد كان صدراً في الحديثِ مُعظَّماً عندَ الملوكِ بغايةِ الإعظامِ

لا ينثني التحقيقُ عن أبوابِه سهلَ البيانِ مُسدَّدَ الأفهامِ

لايختشي هذرَ الحسودِ وشرَّهُ   فالقولُ حقّاً ما تقولُ حَذامِ

قطعت جهيزةُ قولَ كلِّ مُكابرٍ   ملأ الفضا بتنازُعٍ وخِصامِ

لايعرفُ اللحنَ البذيَّ خطابُه   أبداً ولا حشواً بطولِ كلامِ

كم من علومٍ ساسَها بتدبُّرٍ   وتدرُّبٍ وتحقُّقٍ ونِظامِ

كم من تآليفٍ له وفرائدٍ   وفوائدٍ في غايةِ الإحكامِ

آدابُه أنسَتْ تصوُّفَ من مضى   فغدا الجنيدُ له خديمَ مقامِ

لا يَرتضي غيرَ الكتابِ وسُنَّةٍ   قد قام بالأعمالِ خيرَ قيامِ

لا يدَّعي دعوى بغيرِ أدلةٍ   مثلُ الذي يغترُّ بالأحلامِ

من كاذبٍ مُتصنِّعٍ متشيِّعٍ   متشبعٍ في بطنِه بحُطامِ

قد باع ديناً كي يُصيبَ دنيَّةً   يصطادُ للبسطاءِ صُنعَ لِئامِ

يُبدي المقالاتِ السخيفةَ لا يَرى   عُقبى ولا يَخشى من العلّامِ

لهفي على من كان ناشرَ سُنَّةٍ   يَحمي الحِمى ببواترِ الأقلامِ

لهفي أبا العباسِ ليس يُزيلُهُ   ما إن بقيتُ تكرُّرُ الأعوامِ

فُجِعَ الجميعُ بما جرى ودهى الورى   خَطْبٌ أصابَ لِصَيِّبِ الأحلامِ

فالجفنُ يَروي عن فؤادٍ واجدٍ   بمسلسَلٍ يبدو ودمعٍ هامِ

مَن لِلحوادثِ والخطوبِ إذا عَرَتْ   مَن للدَّواهي سُعِّرت بضِرامِ

أغصانُ روضِ العلمِ بانَ ذبولُها   فتَساقطت مصفرَّةَ الأكمامِ

تبكي الفرائضُ عولُها وصحيحُها   إذا كان يُبدي سرعةً لِسهامِ

والصدقُ في الإنتاجِ فارقَ سُلَّماً   جمعُ الجوامعِ قد كُسي بقَتامِ

والسعدُ خانَ لراغبٍ وتبدَّلت   أبراجُه نحساً لفَقدِ إمامِ

يبكي خليلٌ للخليلِ بلوعةٍ   وتأسُّفٍ وتحسُّرٍ وهُيامِ

تَبكي الكراسي والمحابرُ والدفا   ترُ والمعابدُ مِن فراقِ هُمامِ

يبكي التَّفننُ والتَّلطفُ والذَّكا   يبكي الوقارُ له بكاءَ غمامِ

مَن للبوادي والحواضرِ والقُرى   طُلّابُ علمٍ نحوَه بزِحامِ

يروي الحديثَ مع الفروعِ وأصلِها   وعلومَ تفسيرٍ وعلمَ كلامِ

يروي الجميعَ عنِ الدهاةِ بوقتِه   رضعَ المعالي لم يرُم لِفطامِ

لا تسألن عن فضلِه وكمالِه   فالشمسُ غيرُ خفيَّةِ الأعلامِ

لو أنني أطنبتُ كنتُ مقصِّراً   هيهاتَ ما وفَّى بذاكَ نظامي

مَن كان من بيتِ النبوةِ مَجدُه   عَظُمَ المديحُ له بدون مَلامِ

حلَفَ الزَّمانُ ليأتينَّ بمثلِه   جُنَّ الزمنُ بقوةِ الأسقامِ

غَرَّ الزمانَ عمائمٌ وبرانسٌ   وقلانسٌ وتمايُلُ الأجسامِ

وتهاتُرٌ وتجاسرٌ وتعاظمٌ   مثلُ البعيرِ بذروةٍ وسَنامِ

أما الخيامُ فإنها كخيامِهم   والميزُ بالأوصافِ لا بِخيامِ

ما قلتُ إلا الحقَّ فيه وإنه   فذٌّ المحاسنِ مالكٌ لِزمامِ

سئِمَ الحياةَ لِبدعةٍ ومناكرٍ   لبَّى النداءَ برغبةٍ وغرامِ

والدُّرُّ لِلإصدافِ بانَ حنينُه   من قِلَّةِ الرغباتِ والأسوامِ

جاءت جماهيرُ الحماِ لشهوده   طلبَ الرِّضى تَمشي على الأقدامِ

وتسابقت وتسارعت جثمانه   حملاً على أعناقِها والهامِ

وتنازعَ التَّقبيلَ كلُّ مُودِّعٍ   لِعواملِ الإجلالِ شأنَ كِرامِ

رجعَ الغبيُّ بغيظِه مُتعثِّراً   في ذيلِه مُتشبِّثاً برُغامِ

نبكي بُكا الخنسا وما صخرٌ كمن   بعِظاته يُسلي عنِ الأجرامِ

جاورتَ حُسادي وجاوَرَ ربَّه   نِعمَ الجوارُ له بدارِ مُقامِ

مَن سرَّهُ موتُ الفقيدِ يسوؤه   عدمُ الوصولِ إلى عزيزِ مَرامِ

يانفسُ صبراً فارعَوي وترحَّمي   فالموتُ دوماً لا يَفي بذمامِ

خفِّف مُصابكَ بالذين تَقدَّموا   فالعيشُ في الدنيا شبيهُ مَقامِ

إسألِ الإلهَ أن يبُلَّ ضريحَه   بسحائبِ الرضوانِ والإنعامِ

ويُقِرَّ عيننا بالبنين تفضُّلاً   ويُمِدَّهم بملابسِ الإكرامِ

ويُنيلَنا أجراً ويحفظَ باقياً   في وحدةٍ وتعطُّفٍ ووئامِ

ويديمَ عِزّاً بالأمير على الورى   بأبي المحاسن بهجةِ الأيام

وابنِ الرسولِ حليفِ كلِّ فضيلةٍ   فَردِ المكارمِ نُخبةِ لِهشام

ومُحبِّ أهلِ العِلمِ جابرِ كسرِهم   ومُجيرِهم من جَلمدٍ وطَغام

مِنّي الصلاةُ على النبيِّ وآلِهِ   وصحابةٍ مشفوعةٍ بسلام

يَقوى الرجاءُ بها لنيلِ تَصبُّرٍ   ومَطالبٍ جَلَّت ورفعِ مَقام

إن رُمتَ تاريخَ الوفاةِ مُحبِّراً   في النَّظمِ بعدَ التِّسعِ ضِف لِتَمام

قولي أبو العباسِ نحبَهُ قد قَضى   سُكنى الجِنانِ له حُبِي بدَوام

يومَ القضاءِ وثاني عشرٍ قد حَكى   لِوفاةِ خيرِ الخلقِ نورِ ظلام

لكنها بربيعِ شهرٍ ثم ذا   كان الرحيلُ له بشهرِ صيامِ

أعظِم به وفقاً أتى وكرامةً   وبشارةً عُظمى بحُسنِ خِتام

بَشائرُ النصرِ والإقبالِ والوَطَرِ حيَّتْ بِساحَ أميرِ العزِّ والظَّفرِ

اللهُ أكبرُ جاءَ الحقُّ وابتهجت معالمُ الدينِ في بدوٍ وفي حَضَرِ

نصرٌ وفتحٌ قريبٌ بانَ طالِعُه به اضمحلَّت ليالي البؤسِ والكَدَرِ

هي المواهبُ والأسرارُ يعلمُها مَن كانَ شاهدَ ما يُتلى مِنَ الخَبَرِ

كم مِن جموعٍ لِفتّانِ الورى جُمِعت عادت مُنكَّسةَ الأذقانِ في ضَرَرِ

وإذ أرادَ إلهُ الخلقِ نكبتَه وأن يُحِلَّ به التنكيلَ في الأثرِ

له أقامَ وليَّ الملكِ في شرفٍ يَهُدُّ ركناً له بباهرِ النظَرِ

فرتَّبَ الجيشَ ترتيباً ونظَّمَهُ حتى ازدرى نظمُه بفاخرِ الدُّرَرِ

ألسعدُ يخدمُه والنصرُ يصحبُه واليُمنُ كافِلُه بكلِّ ما وَطَرَ

لَما أتتهُ جنودُ اللهِ ما برِحت حتى استصالَتْهُ لم ينفعه مِن حذَرِ

تلكَ الجموعُ بحمدِ الله قد هُزِمَت شرَّ انهزامٍ وسيقت سوقَ مُقتدرِ

تلك الجموعُ غدت غنيمةً عظُمت بها الزمانُ بدا كبهجةِ القمرِ

أبا حمارةَ من يُنجيك حينئذٍ   إنَّ الحمارةَ قد أعيت من الخَوَر

أبا حمارةَ ما يُغنيكَ من حِيَلٍ   شُلَّت يداكَ وضاع السِّحر في السِّحر

أين الكهانةُ أين أين ما ربطت   خلَّت سبيلَكَ عن رُغمٍ وعن قدَر

تلكَ الترَّهات والأوهامُ قد فنِيَت   عادت على الظالم المخذولِ بالضَّرر

في خدمةِ الوطنِ المرغوب أجمعُه   والفضلُ في النصح في وِرد وفي صدَر

فيا رعى اللهُ أبطالاً له قابلوا   بهمَّةٍ قد علت في موطنِ الخطَر

من يطلبِ المجدَ في الإقدامِ نائلُه   إنَّ اكتساب المنى بالجِدِّ والسهَر

ليس المعالي الذي قد شادَ ذو إرَمٍ   بلِ المعالي احتمالُ الضُّرِّ والسُّمُر

تَمَّ المرامُ بفضلِ الله إذ ظهرت   تلكَ المزايا وقد راقت لِذي نظَر

كم آيةٍ قد بدت في الناس معجزةً   وهذه الآيةُ الكبرى لمُنتَظِر

مولاي عبدَ الحفيظِ مالكم شَبَهٌ   الله ناصرُكم يا خيرَ مُنتَصِر

عِلمُ الحروبِ لكم يُنمي سياسَتُكم   تجني المآربَ في فورٍ بلا خطَر

سبحان مَن وضعَ الأشياءَ موضعَها وأورثَ الملكَ مَن يدري لِذي السِّيَر

كلُّ المزايا لكم واللهِ مُخبأةٌ مِن سالف العصرِ والأزمانِ والدُّهُر

لكَ التهاني أميرَ المؤمنين بما أَولاكَ ربُّكَ مِن فتحٍ ومِن ظفَر

لازلتَ حافظَ دينِ اللهِ مُنتصِراً ودُم كما تبتغي بكامِلِ الوطَر

الحقُّ أبلجُ لا يَخفى وإن سُتِرا   والنُّصحُ أجدرُ بالإنسانِ إن عَثَرا

والوعظُ أنفعُ شيءٍ أنتَ قائلُهُ   والقولُ أسرعُ بالذكرى لِمن ذَكرا

والحرُّ يأنفُ أن يسعى لِمنقَصةٍ   تُورِثُ الخِزيَ والأسواءَ والغِيَرا

مَن يطلبِ المجدَ لا يخشى عوارضَهُ   إن العوارضَ قد تَمضي ولا أثرا

لا يعدَمُ الطعنَ مَن يرنو لِمحمَدةٍ   ومَن يرومُ المعالي يحملُ الخَطرا

إن التمدُّنَ إن يقصِده طالبُه   فحَولُ ما يُكسبُ العُليا لِمن سَهرا

ويَنهضُ الوطنُ المحبوبُ عن عجَلٍ   بهمَّةٍ لا تَرى بطءً ولا ضجَرا

بهمَّةٍ في علو مجَلَّ موقعُها   وكانت المركزَ الأقوى لمن سَبرا

إن التمدُّنَ ما الإسلامُ لا يَمُهُ   وقاومَ الفِكَرَ العوجاءَ فانتصرا

إن التمدنَ مَن يَجنيه قد شرُفَت   منه المبادي فنالَ القصدَ والوطَرا

حسنُ السلوكِ وتهذيبٌ بتربيةٍ   وحُبُّ علمٍ أبادَ الجهلَ فاندحَرا

وحُبُّ عدلٍ له الأعناقُ خاضعةٌ   مع اتحادٍ يُديمُ النصرَ والظفَرا

هذا التَّمدُّنُ حقّاً إن عُنيتَ به   لا غيرُه فاتركِ الأوهامَ والخَوَرا

ليس التمدنُ ما يُلهيكَ عن عَمَلٍ   يُعلي البلادَ ويُرقي الفكرَ والنظَرا

ليس التمدنُ بالتزويقِ مَسخرةً   إنَّ التمدنَ ما أولاكَ مُفتَخرا

ليس التمدنُ ما يُدنيكَ من خطَرٍ   ويُعدمُ السيرَ في مناهجِ الكُبرا

ليس التمدنُ في لحزِ الذين مَضوا   إنَّ التمدنَ في إجلالِ مَن غبَرا

ليس التمدنُ ما تهواهُ من بدَعٍ   وما له شرعُنا واللهُ قد حظَرا

ليس التمدنُ ما إن شِمتَهُ برزتْ   لكَ الخلاعةُ في أرجائِه قمَرا

كم صادَ في شرَكٍ منه مِن نابغةٍ   وكم سليمٍ أتى يوماً وقد فجَرا

وكم مُصابٍ بسهمٍ منه في ظُلَمٍ   يظلُّ في لُججِ التَّمويهِ مُنغمِرا

فطالبُ العلمِ قد عابوه في أمَمٍ   فميلُ إليهم وكُن مِن غيرِهم حذِرا

في كلِّ قومٍ أُناسٌ لا خلاقَ لهم   والحكمُ للجُلِّ لا تعبأ بمن ندَرا

خذِ الأطايبَ مِن علمٍ بلا كسَلٍ   واجنِ الثمارَ ولا تنظر لمن بذَرا

سُكْرُ الشبابِ وحُبُّ اللهوِ مَفسدَةٌ   بالعلمِ قاوَمَهُ الحذّاقُ فانكسرا

دعِ التنطُّعَ وارعَ الدينَ وازِعُهُ   يُميزُ التُّربَ مِن تِبرٍ لِمن نظَرا

دعِ التعصُّبَ فالأحكامُ ظاهرةٌ   والقومُ قد صنَّفوا ودوَّنوا العِبَرا

إن قلتَ جئتُ بما لم يأتِهِ سَلفٌ   قلنا الأباطيلُ أو تحريفُ ما صدَرا

وابنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ   بيتٌ سرى مثَلاً في الناسِ واشتهرا

فضيلةُ السَّبقِ حازوها تمدُّنُهم   منه التمدنُ قِدماً ذاعَ وانتشرا

فابغِ التوسُّطَ لا تصبو إلى شَطَطٍ   وانظر إلى القولِ لا مَن لامَ أو عذَرا

والبسْ لكلِّ زمانٍ حلَّ حُلَّتَهُ   فالشَّهمُ مَن يعرفُ الأدوارَ والعُصُرا

إنَّ الشبابَ أخي ضيعتَ بهجتَهُ   وفاجأ الشيبُ بالتأنيبِ وابتدرا

صرفتَ عمرَكَ في اللذاتِ تطلُبها   فواأساهُ على مَن ضيَّعَ العمُرا

تَرى المناصبَ والغاياتِ يُدركُها   ذوو اقتدارٍ وأنتَ الطردَ والكدَرا

إن كنتَ تقبلُ للذكرى فقد نُظمت   لكَ النصائحُ نظماً أخجلَ الدُّرَرا

هي النصائحُ في نفعِ العبادِ وفي مستقبلِ الدهرِ ما يُصدِّقُ الخَبَرا

فوائدُ النُّصحِ يدريها ذوو هِمَمٍ كذاكَ مَن مارسَ الأحوالَ واختبرا

إن رُمتَ تاريخها سيقَت لِمنتَبِهٍ ودالَ وانٍ لكَ ، الإصلاحُ قد ظَهَرا

ونسألُ اللهَ توفيقاً لمصلحةٍ فالحقُّ أبلجُ لا يَخفى وإن سُتِرا

والدينُ لا تَجعَلوه خلفَ أظهُرِكم   إنَّ الحياةَ بغيرِ الدينِ محضُ هبا

ما أحسنَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا   وأفضلُ الناسِ مَن وفَّى بما وَهبا

على الرسمِ عهدٌ لا يزالُ مُجدَّدا   ويرعاهُ صوناً لِلعهودِ مُؤبِّدا

إذا مبغِضٌ قد سرّحَ الطرفَ نحوَهُ   بقصدِ ازدراءٍ حِقدُه قد تلبَّدا

يُناديه مُتْ غمّاً فلستَ بواصلٍ   مقامي ولا أدنى ولستَ مُفنِّدا

لأجلِ اعتناءٍ واهتبالٍ رُسومُنا   حياةً وموتاً فهي مجدٌ تَخلَّدا

وها إصبَعي الكبرى تُقامُ إجابةً   لمثلكَ فاخسأْ كم حسودٍ تبدَّدا

وحسبُكَ كلباً كلما رأى كوكباً   عوى والتوى من خيبةٍ وتبلَّدا

وِرثنا المعالي كابراً بعدَ كابرٍ   لنا الفضلُ سبقاً مُطلَقا ومقيَّدا

فطاحلُ من فِهرٍ وناهيكَ سادة   أناسٌ بهم دينُ النبيِّ تأيَّدا

لنا اللهُ حِصنٌ لسنا نَخشى مُنغِّصاً   قريباً سخيطاً أو عدُوّاً تمرَّدا

فلسنا نُبالي بِمدحةٍ أو مَذمَّةٍ   إذا عِزُّنا باللهِ كانَ مُشيَّدا

بلغنا السَّما مجداً وفخرا وسؤدداً   وكم نِعمةٍ أولى وزادَ وجَدَّدا

وأرِّخهُ شامَ البدرِ من بعدِ ستَّةٍ   وخمسين مَن أضحى بَصيرا مُؤيَّدا

أهلا وإن لم تَقُم أهلاً بما وجَبا بطالعٍ قد تَجلّى بعدما احتجبا

أهلا ببدرٍ سَما كلَّ البدور بما له من الفخر والتشريف قد وُهِبا

هلالِ شهرِ ربيع السَّعد مُظهرِ نورِ الفضلِ أفضلِ مَن ياتي ومَن ذهبا

أعظم به مولداً إيوانُ كِسرى له وهي قد عدمت نيرانُه اللهبا

وصُدَّت الجنُّ فيه عن مقاعدها فحيثما نظرت ألفت به شُهُبا

وسُرّض سائرُ ما بالسَّبع مِن مَلَكٍ وسُرَّت الأرضُ فاهتزت له طربا

لِم لا تُسرُّ وقد فازت بمولِد مَن قد كانَ في نشرها من طيِّها سبَبا

أَسمى الأنامِ يداً أعلاهمُ عَددا أزكاهمُ مدداً أَرقاهمُ نسَبا

مولى أحقُّ بما قد قال ذو أدبٍ ففي معانيه فاقَ العُجمَ والعرَبا

مَن كادَ يحكيه صوبُ الغيث مُنسكِباً لو كان طلقَ المحيّا يُمطرُ الذَّهبا

والدهرُ لو لم يَجر والشمسُ لو لم تَزُل والبدرُ لو لم يَغِب والبحرُ لو عذُبا

هدى به اللهُ للدين الحنيفيِّ مَن يَراه معتدلاً للحق مُنجذبا

فاستبحرت شِرعةُ الإسلامِ وانتشرت   أنباؤها ونَضَت أنوارُها الحُجبا

وأيدت بظهور المعجزات التي أرضت   مُنيباً وأردت من جَفا ونبا

مولىً مَفاخرُه البحرُ المحيطُ الذي   يَحار منه بجزءِ الجزءِ مَن كتبا

مَن حَبَّه حُبَّ صدقٍ نالَ منزلةً   فوقَ المنى ورأى مِن فضلِه عجبا

ومن أحبَّ بنيهِ الأكرمين نجا   يوم اللقاء وحاز السُّؤال والأربا

أخصُّ منهم مليكَ العصرِ سيِّدَنا   أبا المحاسنِ أَوفى المعظَّمين حِبا

مولاي يوسفَ مَن راق الزمانُ به   لما غدا مُلكُه في ثغره شنِبا

عِزُّ الإمامة فذُّ الوقت في هِمَمٍ   شُمٍّ وفي كرمٍ قد سَحّ وانسكبا

أرعى العدالةَ طُرقَ الجدِّ فاعتدلت   قناتُها ونفى عن سوحِها اللعبا

وأرشدَ الكلَّ للإصلاح فانتُدبت   معالمٌ كان عنها الغربُ مغتربا

واستعجل الأمنُ في أرجاءِ مملكةٍ   قد قلِدت ملكاً للخير مُقترِبا

بالعدلِ متَّصِفاً بالحق مُنتصفاً   للظلم مُجتنِبا لله مرتقِبا

مَن قام في ليلةِ العيد السعيد   بمعروفِ العوائد للرحمن مُحتسِبا

وأجزلَ الفضلَ للجمِّ الغفيرِ بها   فكانَ لِلحمد والشُّكران مُكتسِبا

مولاي يهَنيكَ عيدٌ عائد بالذي   ترضاهُ مقتعداً فوق السُّها رُتَبا

ودمتَ بالنَّصر والإعزاز مشتمِلاً   وكلُّ ما تَبتغي تُلفيه مُقترِبا

ودمتَ مولاي مسرورا كذاك بمن   بالجِد والصدق والإخلاص قد حُجِبا

بجاهِ جدِّكَ خيرِ الخلقِ من شهِدت   بالعجِز عن وصفِه مَدراكُ الأدبا

صلى عليه إلاهُ العرش ما سبَّحت   بذكرِه ألسُنُ المُدّاح والخُطبا

والآل والصحب ما جرّت مصافِحةٌ   ذيلاً على زهر الأقاح منسحِبا

وَمن يتخلف عن مساعي ارتقائِه ... يُجازى بحرمانٍ لِنيل المواهبِ

ومن لم يُشمِّر عن ذيولِ استباقِه ... يُرى في مَجاري السبقِ أتعسَ راكب

يَرى غيرَه يَسعى لنيل معارفٍ ... فيرجِعُ مطروداً من تلك المشارب

أضاعَ زماناً في البطالة والهوى ... ورامَ لُحوقاً بالسُّها بمتاعب

يُقالُ له ضيّعتَ لِلعلمِ وقتَه ... فكُن عالةً واصبر لِمُرِّ العواقب

وأعظمُها تبقى مثالَ سخافةٍ ... وتُحقَرُ طولَ الدهرِ بين المواكب

وإنكَ إن تعلم تسمَّى بعالِمٍ ... وإن خانكَ الحظُّ المرَجّى لطالب

فما كان مقدوراً أتاكَ بنفسه ... وما لا فلا بالرغم عن كلّ راغب

وإن فاتكَ الجُهّالُ فالوصفُ لازمٌ ... فليس يدومُ الحالُ عند التَّعاقب

ففي زمنٍ حسبَ المقدَّر ترتقي ... وتجري أمورٌ نحو سُبلِ التناسب

وتُكبَتُ جُهّالٌ وتُرجع لِلورا ... وتُنزَع قهرا من جميع المناصب

وإنَّ أهالي العلمِ تَبقى على المدى ... مُعظَّمةً تسمو بعزةٍ واهب

وما أغنياءُ الناس تبلغُ شأوَها ولو نمّقوا أو زَخرفوا بمكاسب

فدونكَ ما أبديتُه لك حجةً فشمِّر ولا تَعبأ بقولة عائب

ما المجدُ إلا بحُسن الصُّنع والعملِ   بهمَّةٍ لا تُرى للبُطء والمَهَلِ

بهمَّةٍ تُكسبُ الأوطانَ مَنقبَةً   تَبقى تُعدُّ مدى الإشراقِ والطَّفَلِ

إني وحقِّكَ لم أعبأ بشرذمةٍ   تظنُّ جهلاً بأنَّ المجدَ في الحِيَلِ

عِظَمُ العمامةِ أو توفيرُ لحيتِهِ   أو التَّعطُّرُ والتسويدُ بالكُحُلِ

أو التَّبختُرُ في مشيٍ لمسخَرَةٍ   أو التَّأبطُ للحمرا بلا مَلَلِ

أو التَّأنُّقُ في بنيانٍ ذي شرَهٍ   وفي المراكبِ أو في الحلي والحُلَلِ

أو التعرض للأجيال في عِوجٍ   أو التشدقُ في الأخبار والمُثُلِ

أو التَّبرز لِلتَّهويسِ في حِلَقٍ   يُملي المسائلَ بالتحريفِ والوَهَلِ

أَوِ استراقُ الذي قد كان في كُتُبٍ   مُسطَّراً لِذوي عِلمٍ بلا خَجَلِ

وإن بُلي بامتحانٍ في تَشدُّقِهِ   تكشَّفَ الحالُ في بلواهُ عن خَلَلِ

هيهاتَ ذاكَ ضُلولٌ قد تربَّعَ في   بيتِ الغوايةِ للتَّصديرِ والقِبَلِ

يُزيِّنُ الجسمَ للتلبيسِ في مَلأٍ   يَرنو إليهِ بطرفِ المقتِ والثِّقَلِ

شمِّرْ بنيَّ لِنيلِ العِلمِ مبتدراً   خوفَ الشماتةِ لا تصبو إلى الكسَلِ

لا تفخرنَ بجدودٍ إن ذا غلطٌ   إن الفخارَ أتى بأجملِ الفِعَلِ

ليس الفخارُ سوى بالعلمِ نهضتُهُ   تُجري المنافعَ عن وبلٍ بلا وشَلِ

لاسيّما أنتَ في عصرٍ به ظهرتْ   معارفٌ هي فينا مُنتهى الأمَلِ

هذي المناطيرُ فوق الجو تنشرُنا   هذي المآثرُ والآثارُ في الدُّوَلِ

هذي السيَّارةُ في الأنواعِ تُتحِفُنا   قُربَ المزارِ ويمنَ السيرِ والتَّنقّلِ

هذا القطارُ يحُدُّ الأرضَ مُمتطياً   متنَ البسيطةِ في سهلٍ وفي جبلِ

هذي البواخرُ في عمقِ البحارِ وفي   أعلاهُ تفعلُ فعلَ الفارسِ البطلِ

هذي الجسورُ تقي من كلِّ نائبةٍ   هذي الملاجئ فيها راحةُ النُّزُلِ

هذي المصالحُ قد عمَّتْ بلا عددٍ   تروقُ حُسناً لدى الأنظارِ والمُقَلِ

هذا التَّمدنُ هذا الفضلُ فاعنَ به   ليس التمدنُ بالألحانِ والغزَلِ

كم من علومٍ وكم أشياءَ تعلمُها   فالعلمُ بصاحبها في أبحُرِ الضُّلَلِ

خذ العلومَ ولا تنظر لقائلها   دع التعصبَ بالآراءِ والجدَلِ

إنَّ التعصبَ مطلوبٌ إذا شُبَهٌ   ترمي إلى سيءٍ في الدينِ أو خَلَلِ

والعلمُ إن الجهلَ منقصةٌ   تُلقي بصاحبها في أبحُرِ الضُّلَلِ

ما العلمُ إلا الذي ينهاكَ وازعُهُ   عنِ المساوئ ولا يُدنيكَ لِلخطَلِ

والمالُ إن لم يكن علمٌ ولا عضدٌ   كلٌّ عليكَ وكُلُّ الناسِ في عذَلِ

ما أحسنَ الدينَ والدنيا بلا شَبَهٍ   وصاحبُ الفقرِ محسوبٌ منَ الوجِلِ

واصحَبْ صُدوراً بهم تعلو إلى رُتَبٍ   وتأمَنُ الدهرَ مِن مَكرٍ ومن غِيَلِ

يخافُ منكَ الذي قد كنتَ تحذرُهُ   إنَّ الذئابَ تخافُ الأسدَ مِن فشَلِ

عابَ الذي لم ينل في الوقتِ تجربةً   لِصحبةٍ لهمُ والعيبُ لم يزَلِ

أما اللئامُ ومَن كانوا ذوي حسدٍ   عنهم ترفّعْ و لا تخضع ولا تمِلِ

واصبر على مضضٍ من أجلهم بطَراً   فالصبرُ يوليكَ ماتبغيه مِن أمَلِ

لا تزرعِ الخيرَ فيمن دأبُه خدَعٌ   كم من غشومٍ غواهُ النطقُ بالزَّلَلِ

لا تعتمد احداً إلا بتجربةٍ كم مُستقٍ غُرَّ بالآبارِ والوشَلِ

لا تطلبِ الفضلَ ممن سِرُّه عدَمٌ فذاكَ جهلٌ بنادي الفضلِ والسُّبُلِ

واحذر صداقةَ من يُرضيك ظاهرُه دع الغرورَ فإنَّ السمَّ في العسلِ

تساقطُ اللحظِ منها المرء مُكتسِبٌ حُبّاً وبغضاً وفي الغِلمانِ والخَوَلِ

إنَّ العداوةَ قد تُرجى مودّتُها أما الصداقةُ لا تخلو من العِلَلِ

والحكمُ في علّةٍ ثبتاً وفي عدمٍ يقضي انقلابَ الذي لِلقصدِ لم ينَلِ

لا تحسبَنَّ الذي أيامُه أفلت ولا يغرُّكَ إنَّ النّحسَ في زُحَلِ

واحذر قرابةَ سوءٍ إن بُليتَ بهم واستغنِ عنهم فإنَّ اللهَ خيرُ وَلِي

أما الحماقةُ لا تقرَبْ لصاحِبها وإن بليتَ فَعُذ باللهِ وابتهِلِ

شرُّ الطَّغامِ الذي ينسى مبادئَه ظنّاً بأنَّ أهالي العصرِ في غَفَلِ

يَبغي الوقيعةَ إن عنَّت له فرصٌ بمن دروا فعلَه الموسومَ بالخَبَلِ

وفي الزوايا خبايا السِّرِّ تُنبئُنا عريقَ مجدٍ ومن في الناسِ ذو دخَلِ

فإن علاكَ لَعمري الدُّنُ لا غضبٌ   فالدهرُ آونةً ينقادُ للهمَل

ولُكن تُرى غيرَ هيّابٍ ولا كسِلٍ   إنَّ القطيعةَ في وهمٍ وفي كَسَل

واصرِف زمانَكَ في كدٍّ وفي تعبٍ   لِتغتذي من لِبانِ الفضلِ عن نهَل

قد قالَ قولاً بليغاً مَن له نظرٌ   نصحاً لذي هممٍ عن رتبةِ السَّفَل

وخُض لنيلِ العلا بحرَ المكارهِ لا   تجبُن فلا يُدفَعُ المقدورُ في الأزَل

ما أيسرَ المرءُ والأشياءُ مُعسِرةٌ   ولا اعتلا قدرُه والأهلُ في ثَهَل

والحظُّ أعظمُ في نُجحٍ بلا طلبٍ   سيانِ كفءٌ وغيرُ الكفءِ لا تَسَل

إن خانكَ الحظُّ لا تطلُب لِمنزلةٍ   إنَّ الحظوظَ بقَسمِ اللهِ لم تَزُل

إذا ظفِرتَ فزِن بالعفوِ عِزّتَهُ   فالعفوُ مع قُدرةٍ من أشرفِ الخُلَل

عوِّد لسانَكَ قولَ الصِّدقِ مُبتغياً   سُبلَ المداواةِ سُنَن لِلنّاسِ بالجهَل

واحرِص على السِّلمِ إن وافى بمصلحةٍ   واجذُب قلوبَ الورى بالبِشرِ واستَمِل

إن الحوادثَ أشباهٌ لها سلَفٌ   والنُّجحُ أو ضدُّه في الشكلِ والمثَل

هذا التاريخُ يُعيدُ نفسَهُ زمناً   حُسنُ المعادِ بيُمنِ العدلِ لا تُحِلِ

وابغِ التكسُّبَ مع عِلمٍ ليَحرُسَهُ   إنَّ التكسبَ فيه عزَّةُ الرَّجُلِ

إن البطالةَ ذُلٌّ لا نفاذَ له   وهل تُريحُ الفتى مطامعُ النِّحَلِ

خذ القناعةَ فهي حِرزُ نائِلِها   مِن ذلَّةٍ وأمانُ الفكرِ مِن شُغُلِ

إياكَ والعُجبَ في كبرٍ وفي شططٍ   فذاكَ مِن صفةِ المخزولِ عن عجَلِ

والعُجبُ داءٌ كبيرٌ من بُلِيَّ به   يمتازُ وسماً له بأفحشِ العِلَلِ

إياكَ والبغيَ إنَّ البغيَ مسلكُهُ   وخيمُ عاقبةٍ بسائرِ الحِلَلِ

لا تعجبن من ذليلٍ عزَّ جانبُهُ   أو من حُظوظٍ إذا ولّت بلا أمَلِ

أو مِن سرورٍ إذا عادت ملذّتُهُ   حُزناً وهمّاً فإن الدهرَ ذو دَغَلِ

دوامُ حالٍ محالٌ جاءَ في حِكَمٍ   فابغِ التوسطَ في الأعمالِ حين تلي

لا تطمحن إلى العليا بلا أدبٍ   يُدنيكَ منها فإنَّ الأمرَ ذو جَلَلِ

لا تَنظُرَن لِعيوبِ الناسِ مُزدرياً   وابدأ بنفسكَ في الإصلاحِ واشتغِلِ

يرى الغبيُّ القذى في عينِ صاحبه ... ويتركُ الجِذعَ في عينيه مِن ذَهَل

مكرُ العوائدِ مع كيدِ النساءِ هما ... حربُ العقولِ فخُذ بالحِذرِ واعتزل

واحذر لقبضِ الرُّشا مهما دُعيتَ إلى ... ولايةٍ فالرُّشا مِن أعظمِ الزَّلَل

ذاكَ السبيلُ سبيلُ الظلمِ صاحبُه ... يَلقى الجحيمَ وفي دُنياه كالجُعَل

لا تُظهِرِ النُّسكَ والأحزابَ في هلعٍ ... تجني الحطامَ بدسِّ الزورِ والغِيَل

يكفيكَ ذمّاً جميعُ الناسِ ناقمةٌ ... تدري الأمورَ وما أبطنتَ من عِلَل

فلم تَسُؤني ولم آمرْ بما صنعت ... يدُ الخليطِ مقالُ حاملِ الوحَل

واعمَل بظاهرِ ما يأتيكَ مُتَّئِداً ... دعِ الغيوبَ لحكمِ اللهِ وامتثلِ

لا تستبدَّ برأيٍ فالمشورةُ مِن ... معالمِ النُّجحِ في قُلٍّ وفي جَلل

يُعمي البصيرةَ حُبُّ الشيءِ في مَثَلٍ ... إنَّ الضّريرَ إلى الغاياتِ لم يصلِ

واهجُر لمن قد بدتْ في العلمِ رغبتُه ... مِن غيرِ شكرٍ ولا تقوى ولا وجَل

وإنما الخوضُ في أشياءَ يُنكرُها ... ذوو اعتقادٍ صحيحٍ جلَّ عن زَلَل

وَيزدري بالفُحولِ العاملينَ وهُم أهلُ الصلاحِ بُدورُ الأعصُرِ الأُوَلِ

دعِ الأباطيلَ لا تَركَن لِناقِلها قد قيلَ قِدماً مقالاً صارَ كالمثلِ

يُغمى على المرءِ في أيامِ مِحنتِهِ حتى يَرى الخيرَ في طعنٍ وفي جدَلِ

ومَن يُرِد شهرةً يَضحى الخلافُ له أقوى مُعينٍ على المقصودِ من حيَلِ

فالمرتجي منه طولَ الدهرِ منفعةً كالمستَقي من فُضولِ الطَّلِّ والبَللِ

إنَّ الجهولَ لِجُهّالٍ غدا عضُداً يُؤلفُ الحزبَ لِلإضرارِ والتَّكَلِ

إن التَّغالي في الأشياءِ مَفسدَةٌ منها الأغاليطُ والأوهامُ في هطَلِ

إن الضلالَ بأهواءٍ لها فِرَقُ وفي الحديثِ أتى ذمٌّ لِمنتحلِ

خذِ النصائحَ لا تَبغِي بها بدلاً مِن والدٍ قد دعا الأقوامَ السُّبُلِ

وقِس بنيَّ على ما قيلَ من حِكَمٍ ما كلُّ شيءٍ يُقالُ خيفةَ العذَلِ

كم مِن نبيهٍ غدا بالرمزِ مُكتفياً وكم عنيدٍ ولو أسهبتَ لم يَحُلِ

كم من أخي عِوَجٍ ليستْ تُقوِّمُهُ مثالبُ الزجرِ إلا حِدَّةُ الأسَلِ

هذا العيانُ دليلٌ لا جُحودَ له   والجزءُ مندرجُ الإثباتِ في الجُمَلِ

فاجنِ المعارفَ عن شوقٍ وعن طلبٍ   وزيِّنِ العلمَ بالأعمالِ واهتَبِلِ

واجعل دواماً بنُصبِ العينِ مذكّراً   ما المجدُ إلا بحسنِ الصُّنعِ والعملِ

بدت حضرة المجد في بهجة تتيه ارتياحا بيوم عظيم

وجرت حلى الفخر اذ انشدت الا مرحبا بالسري المنعم

وأهلا وسهلا بنهم خبير اثير وحيد شهير حكيم

وزير بمقدمه قد جرى أريج الجود كعرف النسيم

ومن مد في النصح كف اتحاد وأجرى الامور بنهج قويم

ومنهل قبل الوصول الى مصالح بادت بعصر قديم

بسعد الامام البهي الهمام سليل الشرف بهي الكريم

ابي النصر مولاي يوسف من غدا سعيه بالنجاح زعيم

أمير سعى بنشاط العلى بخلق بديع وقلب حليم

فلا زال في عزة واقتدار وجاه زهي وبدر فخيم

ولازال هذا الوزير الحسير مهنئا بخير ويجنى عميم

رفيع النجاد حلي الفؤاد حليف اعتبار ويمن نعيم

ومن متعه جمعه المجتلى بفخر الفخار كعبه نظيم

من فخار الرجال شد الرحال للانشراح والاقتناء الحالي

إذ يكن السير خاليا عن حفيد لم يزد عسير حسن الحلال

سافروا تغنموا به أي رشد لامرئ مال عن مقام مثال

وبأخذ من هديه تقت للتجوال في عوض رحيب المجال

طالما وعد الزمان بهذا غير ان الزمان ألف المطال

(وبأمر معظم) فسد تاتت رحلة بالسعود ذات اشتغال

يا لها رحلة اتتني بسؤل رمته من حلاوة واقبال

من امام قد أعجز البحر ما بد به للوفد من صنوف النوال

من همام مشاؤه وبهاؤه أخجل الشمس في رفيع الجمال

قد تجلى بمنصب الملك تجني كل ظلم حكى ظلام الليالي

أيد الله حكمه فالرعايا ليلا أمره ذوات الفعال

منذ هالي بهجة وانشراح قلت بدر الكمال حقا بدا لي

واهتبال من وزراء فخام قد تجلوا بحلة الاجلال

سادة اصلحوا لمتون وساروا في أمور الورى بحسن اعتدال

سيما حاجب جليل نجل شاعر افضل باهر الافضال

اعظم الحاجبين قدرا وعلما ما له في خلاله من منال

أريحي وفي عهد ووعد المعي مهلب الاقوال

أحسن الصنع في امتداح وختم باقتبال وفي جميل احتلال

حبذا ما شهدت في كل منحى من صنيع مسترخص كل غال

من مبان بقيد الطرف فيما احرزت من عظائم الاشغال

وانتظام لم يبصر الناس طرا ما يضاهيه في السنين الخوالي

كل مرضى تكاد ان تمت بفخار فيها المحنة والخصال

وكأن الثغور غيد فحلت من بديع الاصلاح عقد اللئالي

كل ذا كان فضل امام يرتقي للصلاح متن العوالي

واهتمام رجال رأي وحزم واقتدار المحنك المارشال

قد سعوا في مصالح ورقي وارتياد المنا لكل الاهالي

يا ما من نزهة تباهت ولكن حركت لتقول قلبي رباني

وغدا المشوف ينهض الظن للبر الى اهل نسبة وايصال

وبلاد او لو يجمع الله بها كل ذي وداد موال

مسقط الرأس ما تم النفس أرض حالها بالعلوم والفضل حال

قد كفاني ما ضر بدرا جحود من اناس امام تلك الرجال

قد طوينا عن ذاك طرفا حميدا لو نشرنا لكان قبح فعال

كل شخص له محب وضد من قديم الزمان لست ابالي

من في عني المرور بكثير ما على الحاسدين عتب بحال

والرجا في الاله ان يفعل الح و د سعيدا في احسن الاحوال

ويزيد الامام عزا ونصرا ونجاحا في سائر الاعمال

داعيا ما يشاؤه ولي العهد ذي المجد والخصال العوالي

وجميع الاعزة السادة الابناء أهل النهى بدور الكمال

حبل التعاضد في الاعمال ماسكه يجني العلا أبدا تزهو مسالكه

ان التوام عن الاعمال في درك والشهم من دونهم جلت مداركه

بقدر ما يحسن الانسان قيمته وذكره كلما قامت دلائله

هيا بنا طرق الاصلاح ناشدة ان الحياة بنا تبقى مرامه

بالعلم يدرك لا بالجهل في امم وكل مهم لقد لذت مناعيه

فالعلم اصل اصيل من ينله ينل بكل ما يبتغي تصلو مشاربه

عظيم اتحاد وتوفيق لمصلحة اسنا العوامل قد هبت مبانيه

ان التشاغل بالاقوال ملذة من غير ما عمل جلت محاسنه

دع التمشدق في قوم ذوي همم فالتعلق بحذر ولا تجري مناهله

ليس الخرافات من شأني فأسمعها بئس الغشوم الذي ضلت مداصه

ليس اهتبال الفتى يبقى تسمعه هيهات ان سطرت يوما جرائمه

فالجد في الجد والتزويق منكشف يردى بصاحبه اميت مثالبه

فجد في العلم ولا تركن الى شطط ان التوسط محمود عواقبه

ومن يري حالة (البيضاء) يومئذ يرى من الحزم ما تبدو معالمه

شاهدتها وآثار النظام ما جمعت من المزايا وما تعلو مصانعه

دور التقدم في مد زيادته واليمن في ضمنها لقي جوابه

والامن واليسر والتيسير مجتمع روض النظام بها رقت خمائله

شعائر الدين والاسلام قائمة حسن القيام كما جاءت شعائره

من طلعة الملك المنصور سيدنا ابي المحاسن قد زادت معارفه

وأثمر العلم في أيامه وسرت بالبنا نحو لصلاح تصالحه

وحسن تعضيد من اضحى لهم شغف الى الرقي وقد لاحت نتائجه

يكفي اللبيب وجبر القول عن عجل واحسن القول ما تبدو دلائله

أقول واني في النوى لست أرغب ولكن رجاء للرضى كنت أطلب

فآمل من مولاي نجح مآرب تسر أمير المؤمنين وتعجب

أسيدنا عبد الحفيظ مكانكم من القلب ما ان عشت لا يتقلب

فوالله ما أسلو نحو شمائل رواية علم في اقتنائها يرغب

ولكن عذري في نشيد ايئة قديم لهم قد جاء يعزي وينسب

لئن كانت الاجسام منا تباعدت بحكم قدير ... كان في الدهر يحب

فما سرنا نأي الجسوم وقد صبت قلوب لها في الحب أصل ومذهب

واني على فرط المحبة راحل وبين على حب ... من الصبر اعجب

فأشركني في حسن الدعاء لديكم رضاكم على طول المدى الطلب

فمالي سوى مولاي ثم جنابكم وكل قريب خلته أنت أقرب

فيا ربي لا تجعله آخر عهدنا ويسر مراما بره يترقب

ولاشك في التيسير اذ عود المولى جنابكم ليسير ما كان يصعب

ومن كان بالمولى مدبر أمره أتته المزايا والتباشير تطرب

قدم لابسا أثواب عز وصولة وأنت كما تهوى وتبقى وتطلب

الحمد لله الذي حرك الهمم العلية التي لاقتناء المعارف واجتنائها كيفيا وكما ومد الارض وجعل فيها روسي وانهارا وأخرج منها سابحا ومرعاها وسخر فيها بحارا وجعل السير في اديمها توان التفكر والاعتبار والمواعظ والتذكار مع ما يبديه الله لعبد في حركاته من المواهب والكمالات والمناصب تشهد انه الله الذي وفق من عناء لاكتساب الفضائل واحراز اللطائف والشمائل ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي حيث على الاسفار فقدمت فرائدها مما تصرف فيه نفائس الاعمار صلى الله وسلم عليه وعلى آله كنوز الدنيا ومصابيحها ومن سطرا الاقاليم على اختلاف افانينها وشعوبها وأصحابه الباذلين مهجهم في مرضاته والمواظبين له في حركاته وسكناته أما بعد فاني قد وقفت على هذه الرحلة الجميلة والخطوات الخطيرة الجليلة التي جمعها عالم دهره ونابغة عصره ذو الذهن الوقاد الصائب والفكرة التي تذلل الصعاب لكل مسائل وطالب حليف المقالات الطنانة والارتجالات العصرية الرنانة الكاتب الاول بالمكتبة الحربية بالحضرة الشريفة اليوسفية من

بنسمات محاسنه الزكية طابت أنفاسي ابن عمنا أبو المواهب سيدي عبد الحفيظ الفاسي حفظ الله مودته وادام في الوجود خبوته فوجدتها فريدة في بابها جيدة في أسلوبها قد استوعب رعاه الله باختصار أحوال ما حله من البلدان من غير تطبيق ولا بخس لأحد بميزان ولكن حسب الظروف وما يناسب حال العاطف والمعطوف شأن كل مؤرخ سميدع ولبيب مصقع وبالجملة فهي رحلة سياسية الحرس وخطوات ذات أهمية عظمى أتى بها بشيء عجيب وأمر لم يسبق اليه غريب

لا تلوا الاوائل للفضل كم من أول فعله نما عن أخير

تلخص لمطالعه للبنية الامة لما عليه الامم الراقية للتمدن من عدم الركون للكسل والتخلف عن مفيد الجد والعمل والقيام بالصنائع والحرف المهمة وكل مافيه رقي الامة عسى ان تجد من نومها وتفيق من سكرتها فنبادر لتعلم العلوم العصرية التي أهملت لدينا بالكلية وحتى لا تبقى في ظلمة الجهل والانحطاط وما الفنه من مسالك الاستبداد المحركة لصفاء القريحة والتقاط سيما يساعد

الوقت والزمان ولم تبق إلا درجة الاستحقاق الناشئة عن اخبار وامتحان فهنالك تظهر الرجال وتضمحل شقشقة الاسافل والانذال وتتقدم الرتب أهل المعارف والنيل ويقال لقيوهم ويك الصيف عدمت اللبن فلا كبر العمامة يزكي ولا رفاهية المراكب وفخفخة الثياب وتعطيرها تذكي ولا سبب اللحى بالطول والتنميق ينجي ولا باهض اموال الجاهلين يزجي ولا كوكب يطالعه السفله يهني ولا جبر عن ادراكه بدون استحقاق بغني.

فخذ ما ترى واترك حديث خرافة يلفقه جبر وبروية كوكب

فالوقت وقت تقدم وفرقان وعصر علم ومدنية واتقان لا عصر تمويه وتزويق وتلوين وتنميق فقد ذهب غير مأسوف عليه.

ليس الزمان زمان اللهو واللعب بل الزمان زمان الجد والطلب

ذاك الزمان الهمني فانهض لمعرفة بها امتحان ذوي العرفان لم يخب

هب النسيم باصلاح ومعرفة يا حبذا من نسيم الفضل والادب

أن رفعت رقيا فكن كاللوم معتنيا وسر على سيرهم تبلغ مدا الارب

ليس اكتساب العلى بالجسم عندهم او العمائم او باللبس والطرب

بل العلى عندهم بالحزم في عمل وفي اختراع بريح النفس من نصب

وبالمعارف في درس لها لين عد البنين غدا لصحة الرتب

من سره لو ينال الفوز في شرف فلينهض في جد وفي تعب

قد قلت ما قلت والعيان شاهده ولست اخشى انتقادا جاء من ذهب

فالليث ليس يخاف الذيب في سهر وكل كلب عوى فالبدر لم يصب

والفضل لرجال الدولة الحامية في هذا التيقظ والانتباه ودفع مزاحمة من يظن انهم اشباه التي ما زالت ولا تزال ساعية فيما يكسب الامة المغربية نجاحا وطوفا بالاسم الراقية في ظل مولانا السلطان أيد الله نصره وفخره وحيث رأيت أن هذا النزر يكفي ولأهل الهمم يشفي فاني

أقدم لصاحب هذه الرحلة التشكرات العظيمة على ما اسداه وأتمنى له بلوغ قصده ومناه وكتب عن استعجال.

عبد الله الفاسي

الحمد لله وحده

تذكار حفلة مثال يوم النصر الحفيظي زاده الله عزا وظفرا

مآثر مولانا تجل عن الحصر وأفراحه تسمو على مدد الدهر

له تخدم الزهر النجوم جلالة وما مشرقات البدر الامن الصدر

أسيدنا عبد الحفيظ مقامكم عزيز جناب لا يمل من الشكر

أقمتم بيمن الله حفلة مالك زمام المعالي يوم توج بالنصر

واني لسوء الحظ كنت بمعزل عن المشهد الاسمى المت على عذر

ليمنك يا مولاي يوم تكاملت به نيرات الدين رضا بلا ضير

فيا وجب حق الفخار على المدا بسادس يوم منك في ليلة العصر

لك الله يا فخر الملوك ومن غدا يحوط لدين الله حوطة ذي صبر

بحفلتكم سر اودا واجانب لهم في ابتهاج ما يرون لذي خبر

فلا زلت في اوج المعالي مشاهدا ولازالت الايام طوعك في الامر

ولازلت محفوظ الجناب مؤيدا مآثركم والله جلت عن الحصر

عبد الله الفاسي لطف الله به بباريس.

خطرات أفكار السفارة الشريفة بباريز

تفائل لما تهوى ولا تكم صامتا فرب منال كان بالنطق نابه

وقل أسفا حيث النوى بك قدتني احبتنا طال البعاد الى متى

أراكم ويزهو ناظري فالى متى تهيج لي الاشواق ذكر فراقهم

متى عطر الارجى اريج نسيمكم

ومن شغفي أني بسعد وصالكم عدمت اصطبارا عنكم وجنابكم

وعظم اشتياق كان اوجع للفتى لقد شق عن وجدي حسام بعادكم

وصرت على بعد الديار بوحشكم أروح واغدو هل يدنو لقاؤكم

وما باريز تفنى وتسلي وبينكم يمزق أحشائي وهبه مؤقتا

أطل نفسي بالتمني وكلما أسفت عسى يسلي التأسف مغرما

يلوك لسان الشوق مني لائما وماذا عسى يغني التأسف دائما

وماذا عسى يجد مقال الى متى نسيم الصبى بالله حي منازلا

اذا كنت في أعلى السماكين نازلا

وقل لهم عند الختام تفاؤلا فلا دام بعد مغلق عندكم ولا

عدمت تلاق في قريب لنا أتى

الأصل: عبد الله الفاسي

التخميس: محمد ابن رحمون

وقف الناظم على هذه المدينة المسماة بالكروز وشاهدا ما فيها من الاتقان العجيب والصنع الغريب وجودة الصنائع والاتقان ما يبقى حديثه الى غابر الزمان وذلك يوم السبت 29 في جمادى الثاني الموافق 13 يوليو وكان الحلول في التاسعة والنصف في ليلة اليوم المذكور وفي ذلك قال:

همم البرايا ان أرادوا نشرها من بعدهم فيا ابن الاتقان

ان الصنائع ان تعاظم شأنها أضحى يدل على عظيم الشان

فأنظر مصانع أكرزو بها اهتبل بمدافع لمدافع لمعان

هي الوحيدة في الصنائع كلها لاسيما من للحروب بفاني

تسمى شنيدر فلم الذي قد شادها شاد المفاخر ماله من ثاني

أيقظ ركابك كي تفوز بوصلها فلقد به تسمو على الغيوان

أرخ للسفير مع المعزز جانبا فبوصلها بشراي خير زمان

عام 1327 .

رماني دهر بانسكاب المصيبة وفاجأني عزما بكل قطيعة

...

المصادر:

حديقة التعريس في بعض وصف ضخامة باريس أو الغصون الكاسية بأزهار وصف الديار الباريسية :عبد الله بن عبد السلام الفاسي :المطبعة البلدية بفاس 1919/1334

اليمن الوافر الوفي في أمداح الجناب المولوي اليوسفي – مطبعة المكينة المخزنية – فاس 1342هـ/1923م.

عبدالله الجراري: التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرباط 1986 .

محمد بن العباس القباج: الأدب العربي في المغرب الأقصى – المكتبة المغربية – الرباط 1929 .

فواصل الجمان محمد غريط ط.

مجلة المناهل عدد 49

المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية/ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء.

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس / ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي ؛ تحقيق علي عمر ط.

الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام/ العباس بن ابراهيم ؛ تحقيق عبد الوهاب ابن منصور ط.

الموسوعة الشعرية الإلكترونية: محمد بن راشد آل المكتوم.

مصادر لم أقف عليها:

ديوان عبد الله الفاسي: مخطوط في مجلدين بحوزة أسرته.

محمد العابد الفاسي: ترجمة مقتضبة – نسخة مرقونة بالقرويين.

عبد الله الفاسي مسلك الصلاح وملهم الرشاد طبع عام 1325 على الحجر

النسمات العنبرية في الوجهة السجلماسية: عبد الله بن عبد السلام الفاسي الفهري

تقع في نحو الأربعة كراريس فرغ منها سنة 1893/1311 الخزانة الفاسية.

كناش الطيب بن خضراء : الخزانة الملكية بالرباط.

تغيير الأسعار على من عاب الأشعار لعبد الرحمان بن زيدان العلوي : تحقيق وتقديم صقلي

حسيني، نعيمة :دبلوم الدراسات العليا : الأدب : فاس ، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية ظهر المهراز : 1992

المسلك البهي الحسن في بعض ما كان يحسنه من العلوم مولانا الحسن خ " ثمانية كراريس عند

ولده الأستاذ محمد العابد

مجموع اشتمل على سبع فضائل في مدح ماء العينين ط حجرية

ديوان في مدح الشيخ ماء العينين: كلية الآداب بالرباط (مرقون)

تاريخ الوزير ابي محمد عبد الله بن عبد السلام الفاسي لولده محمد العابد الفاسي مخطوط عند أسرة

المؤلف.

سلوك الذهب الخالص الإبريز في بيعة السلطان مولانا عبد العزيز/عبد الله بن عبد

السلام الفاسي [م.د] ,1907/1325

المكتبة الوطنية بالرباط:964

قصيدة في ختم الشيخ إبراهيم بن محمد الدباغ بوطربوش لصحيح البخاري بالزاوية الفاسية /عبد الله بن عبد السلام الفاسي

قصيدة في ختم صحيح البخاري بمجلس السلطان مولاي الحسن/عبد الله بن عبد السلام الفاسي

إيقاظ الطارف و التالد بذكر رثاء سيدنا و مولانا الوالد /عبد الله بن عبد السلام الفاسي

مناهج البيان للفصل في قضية السودان /عبد الله بن عبد السلام الفاسي

المكتبة الوطنية بالرباط 710ع

كؤوس الأدب المستطابة في وصف المستحق للوزارة والحجابة/عبد الله الفاسي: مخطوط.